

## وحى الأربعين

تمر فى الثانى عشر من مارس الذكرى الأربعون لوفاة العقاد ، وله ديوان «وحى الأربعين» صدر وهو فى الأربعين ، نستلهم هذا الوحى ، حيث أثار فى حينه معارك سميت باسمه ، شارك فيها تلاميذ الرافعى - ظالمى أنفسهم وظالمى الفن - وكال لهم المريدون من أولياء العقاد الصاع صاعين ، ولعل «الأربعين» الآن لا تزال تثير معارك ، ترن أصداؤها ، ويسمع صليلها فى صفحات النفوس والأوراق ، ولا يزال العقاد - بعد رحيله - يغنم معارك ، لأن فكره سرى ويسرى فى تجاليد هذه الأمة ، ما كانت لغتها العربية ودينها الإسلام .

يقترن التجديد فى الشعر والنقد باسم العقاد ، وتستمد النهضة الحديثة فى فروع المعرفة الإنسانية صلة وثيقة بصاحب «وحى الأربعين» ، يأخذ نقاد هذا الزمن ثقافتهم من العقاد ، تسرى مصطلحاته فى كلامهم ، وإن تنكروا لها ، وهَبْ أننا نحذف صاحب الذكرى من تاريخ الشعر والنقد والفكر الإسلامى ، هل يكون لمثل هذا التاريخ اكتمال ، وهل يظل الوجه واحداً ؟ !!

إن تكريم العقاد والحفاوة به لا يعنيه الآن ، وربما كان لا يعنيه حال حياته - فقد لقى منهما الكثير - تكريم وحفاوة حيث تعرف مواطن التقدير ، وتولييه لمن هو أهل لها ، وهو فى الوقت ذاته علو عن سفساف الأمور ، وإكالة الحفاوة لمن لا يستحق غير الزراية والإهمال ، وكل ذلك جنف عن المقاييس الصحيحة وقد فشا ذلك بكثرة فى أيامنا تلك ؛ لأننا لا نكاد نجد إلا مسحاً فى السلائق ، وارتكاساً فى الأذواق .

والعقاد - من شأنه - أن يثير هذه الأسلاخ التى تعزى إلى الآدمية ، ويطلعها على هوانها وصغارها ؛ لأن ذكره «عقوبة ومحنة» لما يعانونه من معاقرة الخذلان والشنآن ، لكنه - من جانب آخر - يثير أولى الأخلاق الرفيعة ، والهمم المشحوة للجمال ، فتحثفى به فى سلوكها وعروجها إلى الخير ، وإن كان ما حولها يأسن

ركوداً وزرابةً ، بيد أن هذا الفريق الكريم لا يملك من وسائل الإعلان ما يملكه الفريق الأول من تسخير الأبواق ، التي يرتع فيها أحلاس الزحام ، ممن يرضى غرورهم ، ومصالحة أنفسهم التوسط الشائع ، ويؤذيهم فى الصميم التميز والرفعة ، فيصدفون عن مخاطبة المثل العليا ؛ لأنهم لا يملكون لها من ذوات أنفسهم ما يتجاوز بهم هذه المفازة المضلة .

حارب العقاد فى حياته كل قيمة زائفة ، فلا يعنيه إذن من يزيفون ذكراه ؛ لأنه ينشد - ولا يزال - القيم الصحيحة ، حيث هو نموذج لها ، وفكره يخاطب الإنسان بعيداً عن عشاوة التقليد ، والبهرج الزائف ، الذى تعيث فيه ديدان الحس الخادع ، والأرب المثوف ، وهو عنوان صحيح للإنسان الراقى المشغول بالخيال والجمال . لقد حارب أصنام الألقاب العلمية والوظائف الرسمية ، وأطلق عليها «رق القرن العشرين» ، وحارب الاستبداد والحكم المطلق ، ولبث فى السجن بضعة أشهر لم يستخذ ولم تخضد شوكتة ، بل خرج أقوى ما كان من سجن «أكبر رأس فى الدولة يخون الدستور» ، وخرج عن الوفد أو خرج الوفد عنه - بعبارة هو - حين كان يمثل أغلبية الدكاتورية ، وكان العقاد ثائراً ، ولكنه لم يكن وفدياً ولا غير وفدى ، وحارب الاستعمار والطغيان ، وهاجم أعداء الإسلام ممثلين فى المستشرقين ، متتبعاً عوراتهم «فيما يقال عن الإسلام» وأصلى الشيوعية ناراً حامية وتنبأ بسقوطها وهى فى أوج ازدهارها - إن كان لها ازدهار - وحققت نبوءته الأيام ، وحارب هتلر والنازية وقد دوخ الأمم والممالك ، وقال فيما قال فى مستهل كتابه عنه : «فى هذا الكتاب ما أنا بقاضٍ ولا يسرنى أن أكونه» ، وأنذره أعوان هتلر بسوء المغبة ، وسقط الطاغية ، وانتصر فكر العقاد ، فكر الحرية والاستقلال ، وحارب الجُمود باسم الدين ، وأصلى الإخوان المسلمين ناراً من مارجة وحممه ، وأطلقوا عليه الرصاص فى داره - رأينا أثر الرصاصة فى نافذة البيت - وكان مبلغ قوله : الرأى بالرأى والجريمة بالعقاب ، وارتأى أن اللوحة الفنية عنوان نهضة فى الأمة لا تقل - إن لم تزد - عن وثيقة الاستقلال ، وحارب الفوضى باسم الفن ، مناصراً للشعر الموزون المقفى ، مناوئاً «للموضات» الزائفة ، ولعل الأيام تشهد الآن ثمرة هذا الجموح ، فأفلت الزمام وطاش ، وفى كلام

العقاد وطبيعة العربية ما يعصم من الزلل والالتباس .

ومع هذه الحروب التى استغرقت منه السنوات . فإنه كان يعتقد أنها تمهيد للبناء أو هى البناء ذاته ، لأنه أخرج من الشعر عشرة دواوين ، - وهو عندنا الشاعر بالآلف واللام ويمثل الشعر ملكته الأولى - وأصدر من النقد العشرات ، ومن الرواية والسير والتراجم والعبقريات ، وبحوث الفلسفة والتاريخ والفكر ما يشهد بعبقريته ، وغدا موضع الدرس - إيجاباً وسلباً - فى البحوث جامعية وغير جامعية ، وصورته فى الدرس نديد لصورته فى عالم الجمال ، حيث ألهم الشعراء والمحبين ؛ لأنه لم يعدم الصديق والناحر من الذين لا يزحفون على البطون ، فى أى زمن ، ولا يعنيه أن يزحف الناس ، ولا يهز فى معتقدهم بقيم الحق والخير والجمال أن يزمر الزامرون لأنهم يعيشون فى استغناء ، لا تبلغ نعاله أصداً هؤلاء ، الذين هم شهادة عوراء ، على أننا نحيا فى زمن فارغ إلا من الأصداء والأهواء .